٧-عصفوران

حلق هذان العصفوران فرحين ببداية سطوع الشمس مغردين ببهجة، لكنهما سرعان ما بادرا بالهروب من ذلك المكان، عقب رؤيتهما لذلك الجيش العظيم أسفلهما، كان أكبر من أن يُوصف، يتخلله الرماة والفرسان والكلاب المدربة، لم يستطع "فين" تمييز راياته، ولكنه كان فردا منه بل من أهم أفراده، يقف بمقدمته ممتطيًا فرسه ومرتديا درعه بأكمله، أمسك سيفه بإحكام ونظر لجانبه فوجد "بودير" ممتطيًا فرسه هو الآخر، نظر له "بودير" بثقة كما لو أنه يخبره أن النصر سيكون اليوم حليفهم، شعر "فين" بالثقة ثم نظر أمامه على بُعد ليرى جيش العدو، لم يدر من هم، ربما إخوة الظل، فأغلبهم يرتدي درعا أسود اللون، مجرد تفكيره أنهم ربما يكونون إخوة الظل، أشعره بالكره الشديد تجاههم، لم يدرِ بنفسه وهو يركض بفرسه ويقترب منهم للغاية، أخذ يلوح بسيفه جهة كل فارس يراه يرتدي درعا أسود، لم يدرِ كم قتل من الفرسان، نظر حوله فوجد المعركة مشتعلة بين الجنود ذوي الدروع السوداء وجنود جيشه، رأى وحشًا أعورَ يشبه الأسد في الأفق يجري بقوة جهته، استعد "فين" ليتصدى له، لكن الوحش سرعان ما انعطف لجهة أخرى بعيدة عنه ثم اختفى، لم ينتبه "فين" لهيئة الوحش، فقد انشغل عقله بالانتصار في المعركة، أكمل "فين" القتال ليغمس سيفه بصدر آخر جندي يراه يجري صوبه، تنفس بقوة ورأى جنوده من حوله يحتفلون بالنصر، شعر بالسعادة وأخذ يدور بعينيه باحثا عن "بودير" ليشاركه سعادته لكنه لم

يجده، فجأة اختفى الجنود من حوله واختفى كل شيء، لم ير سوى أرضا قاحلة ممتلئة بجثث ودماء الموتى.

"كيف الحال أيها القوى؟"

نظر "فين" لمصدر الصوت ليجد رادو بجواره ينظر إليه ويربت على كتفه، لم يفهم "فين" أين هو وما الذي يحدث.

"ألم تسمع صديقنا الحارس هنا؟"

نظر "فين" جهة الحارس ليجد أن الحارس يخبره أنه دوره، نظر "فين" أمامه فرأى المرايا المشئومة مجددا بضخامتها التي تُشعر المرء أنها ستبتلعه، انتابته المشاعر السابقة نفسها من توتر وخوف، نظر خلفه ليجد الأشخاص نفسهم بالنظرات نفسها وردود الأفعال، جميعهم دون استثناء، "كيرا"، بيلا، سول، أدريان، رادو، أدار وجهه ليرى "بودير"، لكنه لم يجده، بل ما حدث هو أنه وجد نفسه صار أمام المرايا تماما، متى حدث ذلك؟! فهو لم يسر حتى خطوة واحدة تجاهها! كاد "فين" أن يلمس المرآة، لكنه لمح شيئا غريبًا للغاية فقد رأى فجأة في الأفق داخل المرآة شخصًا ملتفًا بالأسود لا يظهر منه أي شيء سوى أنه يرتدي ملابس سوداء، ويغطي رأسه بغطاء أسود، لم تظهر سوى عينيه وباقي وجهه لُف حوله قطعة قماش سوداء، رأى "فين" ذلك الشخص يجري تجاهه بأقصى سرعة، ثم يقف بمسافة قريبة منه بعض الشيء، ويشهر قوسا ثم يوجه سهما بوجهه! صُعق "فين"، من هذا؟! ولماذا يفعل ذلك؟! حاول "فين" الجري مبتعدا ولكنه سقط، لكن لماذا؟! نظر حوله فلم يجد أحدا، ووجد عكازه مرميًا بمسافة ليست

بقريبة منه، حاول الزحف لكنه لم يستطع، لوهلة شعر أن جميع أطرافه شُلت، لم يستطع سوى تحريك رأسه جهة المرآة، ليجد ذلك الشخص يطلق سهمه بسرعة جنونية، لم يدرِ ماذا يفعل! أغلق عينيه فحسب، لم تمر ثانية حتى سمع صوت سقطة، فتح "فين" عينيه ليجد أخته "كيرا" ساقطة أمامه ينتصف السهم صدرها، أمسك بها سريعا وهو غير مصدق لما يراه، شعر بعقله سينفجر من كم الرعب والذعر، ظل يفكر في شيء واحد فقط: لماذا هي؟ ليته لم يركض، ليته لم يتمنَّ ألا يكون هو، ليته كان هو! لم يدرِ ماذا يفعل، لم ينطق، ظل ينظر لها فحسب، وهو ممسك بها شاهرا فاهه غير مصدق لما حدث، افعل شيئًا "فين"! ساعدها! ساعد أختك! نظر حوله فلم يجد أي شيء أو أي شخص، فجأة فتحت "كيرا" عينيها على مصراعيهما، وكانت إحداهما حمراء والأخرى صفراء، أخذتا تقطران شيئا غريبا يشبه الدم، ولكنه أسود اللون، بدا مظهرها مرعبا ثم تفوهت "كيرا" بحدة:

""فين"، أحقا ستتركني."

ثم أكملت وهي تصرخ بصوت يجمد الدم بالعروق:

"لأموت؟!"

فتح "فين" عينيه بقوة، ليجد نفسه في غرفته ذات الزركشة غير المنطقية، شعر "فين" بحبيبات عرقه أعلى جبهته، مسحها ثم أمسك بعكازه واتجه نحو النافذة ليفتحها، ساحة المبارزة كما هي تماما، بعض الفرسان يتدربون في بعض الأركان، الحداد يطرق أعلى أحد السيوف وإلى جواره كلبه سكودو يهز ذيله

وينبح في سعادة، تنفس "فين" الصُعداء، بدا ذلك الكابوس حقيقيا للغاية، يبدو أنه أطال في نومه اليوم؛ فهو لم يستطع اللحاق بمنظر الشروق، قام "فين" بتبديل ملابسه، بينما توالت الأفكار بعقله سريعا، كيف هي أحوال "كيرا"؟ كم يتمنى أن تجيب على رسائل والدتهم، حينها سيتشجع بعض الشيء ويرسل لها هو الآخر، لكنه يشعر أنه خذلها وأنها لن تسامحه، فكيف ستسامحه وقد لجأت له ولم ينجدها؟! حاول تغيير تساؤلاته حتى لا يراوده الإحباط الشديد ككل صباح منذ يوم المرايا المشئوم، متى سيصل "بودير" وجوزيف للعاصمة؟ لِكَم من الأيام الإضافية سيمكث خاله ميستريو وبيلا في العاصمة الأم؟ لماذا لم يرَ الشخص الملتف بالأسود مرة أخرى منذ يوم المرايا؟ بالتأكيد لم يكن سوى هلاوس بسبب توتره ذلك اليوم. لم يدرِ متى خرج من غرفته ليسير مبتعدا عن هذا الجزء من القصر، لكن ما فصله عن أفكاره كان ذلك الصوت الصادر من غرفة "كيرا"، تمعن في الصوت، فربما قد أخطأ السمع فحسب، لكنه بالفعل سمعه مجددا يصدر من غرفتها، صوت أقرب لشيء ما يسقط أرضا، اقترب من الباب بحيرة ثم طرق، لم يجبه أحد، فتح الباب ببطء فوجد جميع الملابس بالخزانة ساقطة أرضا وشيء ما ساكن أسفلهم:

"هل من أحد هنا؟!"

تساءل "فين" بتعجب.

"كلا!"

أجابه ذلك الصوت الحاد، ضيق "فين" عينيه تجاه الجسد الساكن أسفل الملابس ثم سأل بضحكة خافتة:

"ثنسيا، أهذه أنت؟!"

عم الصمت قليلا ثم أجاب الصوت:

"كلا!"

"ثنسيا، ماذا تفعلين هنا؟ لمَ أنت متكومة أسفل الملابس بهذا الشكل؟!"

قال وهو يسير باتجاه الجسد الموجود أسفل الملابس، ثم يُخرج ثنسيا من أسفل تلك الفوضى، كانت ترتدي فستانًا بدون أكمام، أسود اللون تتخلله خيوط ذهبية، انصاعت ثنسيا لأخيها وسارت بجواره ممسكة بيده حتى جلسا أعلى الفراش.

"حسنا إذن، ماذا كنت تفعلين؟!"

دارت ثنسيا بعينها في الأرجاء متجنبة الإجابة عن السؤال. ناداها "فين" مجددا مربتا على رأسها.

"حسنا، حسنا، كنت أبحث في خزانة "كيرا" عن فستان يناسبني"

"لماذا؟ ملابس "كيرا" ستكبرك حجما، كما أنك لديك المئات من الفساتين، وإذا مللت منها تخبرين المربية فحسب وتحصلين على ما تبغينه فورا!"

"الأمر ليس كذلك، أنا فقط.. أريدها أن تعود."

قالت ثنسيا بحزن، احتضن "فين" أخته وصمت قليلا ثم أردف:

"وأنا كذلك."

ابتعدت ثنسيا لتسأله:

"هل هي بخير يا "فين"؟"

"هي كذلك؛ فهي تجيب على رسائلك وتخبرك بهذا، أليس كذلك؟"

"أجل"

ابتسمت ثنسيا ابتسامة عريضة ثم أصابها بعض القلق وأكملت:

"أخشى فقط أن ترحل للسماء قبل أن أراها مجددا، كما رحل جدي، إني حقا أشتاق له، "فين" لماذا جميعهم يرحلون؟!"

نظرت ثنسيا بعيون واسعة تجاه "فين" منتظرة إجابته، أراد "فين" تغيير مجرى الحوار وتجنب الإجابة:

"أأأ.. إذن، جئت هنا فقط لأخذ أحد فساتين "كيرا"؟"

همت ثنسيا أن تجيب لكنها صمتت وغطت فمها بكلتا يديها ناظرة لأخيها بترقب، هز "فين" رأسه ضاحكا:

"لا تقلقي، لن أخبر والدتنا"

أبعدت ثنسيا يدها عن فمها وهي تضحك، ثم قالت بنبرة خجولة ومنتصرة في الوقت ذاته:

"لم أنمْ في غرفتي بل نمت هنا، لم تدرِ المربية بذلك، وقد شاهدت الشروق من هنا كذلك!"

"حقا؟!"

تساءل "فين" متظاهرا بالانبهار..

"أجل يا "فين"، وكذلك رأيت شخصًا يرتدي السواد ويمارس الرماية في الساحة"

"..."

*****

لا أثر له، لا أثر له في أي مكان، كم مر من الزمن حتى الآن وهو ينتظر ظهوره، حل الليل ثم الفجر ثم الصباح، وهو مازال أمام نافذته ينتظر ليرى الشخص الملتف بالسواد، ويحاول فعليا معرفة هويته هذه المرة، لكن دون طائل، لماذا لا يظهر ذلك الأحمق فحسب؟! شعر "فين" بثقل جفونه وتشوش الرؤية أمامه، كلا، سيظل مستيقظًا، شعر بجفونه تحاربه كي تسقط، كلا سيحاول أن يظل مستيقظًا. فجأة أفاق "فين" على صوت طرق على باب غرفته، نظر أمامه ليجد الشمس تقترب من المغيب، يبدو أن محاولاته البائسة للبقاء مستيقظا فشلت بجدارة، جذب "فين" عكازه متجها نحو الباب، ثم فتحه سريعا ليجد أمامه خاله ميستريو وبيلا تبتسم ابتسامتها الساحرة، كلاهما ارتدى الأسود، ولفَّت بيلا شعرها على هيئة جديلة واحدة كبيرة بعض الشيء كعادتها.

""فين"، أتسمح لنا بالدخول؟"

استأذن خاله ميستريو بنبرته الهادئة المعتادة.

"بالطبع، تفضلا"

دخل ميستريو وبيلا الغرفة، جلست بيلا على أحد المقاعد المطرزة بينما ظل ميستريو واقفا، ميستريو ذو الشعر البني والعيون الثابتة، حجمه صغير بعض

الشيء مقارنة بباقي إخوته، كذلك شكله يوحي بأنه أصغر من أعوامه الثماني والثلاثين، لكن الشعيرات البيضاء التي تخللت مقدمة رأسه توحي بعكس ذلك، هادئ دوما ومهذب للغاية، في بعض الأحيان يشعر "فين" بأن خاله ميستريو سيظل محتفظا بهدوئه وأدبه حتى إذا حلت نهاية الكون، وكان الناس في أشد هلعهم، ابتسامة باردة دوما تلوح على وجهه، فهي مجاملة لمن أمامه ليس إلا، تصفه والدته دورسيرا دوما بالمتناقض، لكن "فين" لم يفهم أبدا ما سبب ذلك.

"هل صرت أفضل الآن؟" تسأل ميستريو.

"عمَّ تتحدث يا خال؟"

"بخصوص ذهاب أختك للمملكة الغربية"

"أجل، أنا على ما يرام"

أومأ "فين".

"هذا يسعدني، سنرحل أنا وبيلا وسول لعاصمة المملكة الشرقية بعد يومسن؛ فقد أمددنا وقت بقائنا هنا فحسب، لأجل جنازة والدي، وأكرر عرضي مجددا، سنسعد حقا إن أتيت برفقنا"

نظر "فين" لبيلا فوجدها تبتسم ابتسامة واسعة منتظرة رده، حك "فين" مؤخرة عنقه شاعرا بالحرج؛ فقد عرض عليه خاله الذهاب مرتين، إحداهما قام بالموافقة عليها بالفعل ثم اعتذر والآن سيرفض، لن ينكر؛ فجزء منه يريد الذهاب والحصول على فرصة رؤية بيلا طوال الوقت، لكنه لا يستطيع ترك ثنسيا، فقد فقدت كثيرين بالفعل، ودون حتى سابق إنذار، لا يستطيع إضافة

نفسه لقائمة جده و"كيرا"، على الرغم من غضبه حيال عدم تصدي والدته لرحيل "كيرا"، لكنها بالفعل لا يمكنها فعل شيء بخصوص ذلك على الرغم من كونها أميرة، وعلى الرغم من كونها شخصية جادة وصارمة، لكن حينما يتعلق الأمر بالمرايا العظيمة، فلا أحد يمكنه ردع أوامر تلك المرايا اللعينة، لذلك فهو لا يستطيع تركها هي الأخرى خاصة بعد موت والدها لتوه، لا يستطيع فحسب..

"تعلم يا خالي، أنا حقا أريد المجيء، أردت دوما العيش لبعض الوقت في المملكة الشرقية، وأن تتسنى لي فرصة رؤيتكم طوال الوقت، لكن.."

قلص "فين" وجهه شاعرا بالإحراج، بينما ظلت نظرة ميستريو كما هي ولم يبدِ أي اندهاش أو ضجر، وظل مستمعا ل"فين" حتى النهاية دون مقاطعته إطلاقا.

"لا أستطيع الذهاب الآن وترك أختي ووالدتي، تعلم، خاصة بعد موت جدي"

أومأ ميستريو بتفهم.

"أنا أتفهم، لديك مسئوليات"

"أجل"

لم يعلق ميستريو، بينما حك "فين" مؤخرة عنقه مجددا شاعرا بعدم الارتياح، أراد حقا أن يزيح الصمت الجاثم في أرجاء الغرفة، نظر جهة النافذة ورأى عصفورين يحلقان في الهواء، شعر كأنه قد رآهما من قبل، ووجد نفسه

تلقائيا يفكر فيما يشعران به وهما حرَّان تماما، خطر بباله أن يفكر بصوت عالٍ كي تنقشع غيمة الصمت.

"الطيور، كم هي محظوظة! لا قيود! لا مسئوليات! حرة فحسب."

شعر "فين" بالسخافة، ربما كان من الأفضل أن يحتفظ بأفكاره لنفسه دون محاولة أن يُظهر ذاته بمظهر المتأمل، فهو لم يشعر سوى أنه بدى أبلهَ، ظلت بيلا صامتة ولم تعلق، بينما اتجه ميستريو للنافذة وظل ينظر من خلالها، كانت الشمس بدأت تودعهم بالفعل، ولاح لون الغروب في الأفق.

"الطيور، بإمكانك دوما النظر إليها والتفكير بما تشعر به وهي تستطيع الذهاب إلى حيثما تود، تعتقد أنها حرة، لكنك إن تمعنت جيدا ستجد أنها ليست حرة إطلاقا، بل إنها في خطر محدق طوال الوقت من أن يتم اصطيادها أو الفتك بها، تحمل يوميا فوق أجنحتها همومًا لا تُحصى لتعثر لأطفالها على طعام يسد أجوافهم، إنها تطير كل يوم لمصرعها ولا يمكنها التوقف أبدا، الطيور لم تكن ولن تكون أبدا حرة."

صمت ميستريو قليلا ثم أكمل:

"لكن دعنا نعتقد أن الطيور حرة، فالحقيقة دوما مؤلمة."

شعر "فين" بأن كلام ميستريو منطقي للغاية، ف"فين" لم يفكر في البداية سوى بصورة بدت له الآن سطحية للغاية بعد سماع ذلك الكلام.

"أرجو أن نراك قبل رحيلنا."

أردف ميستريو ليجيبه "فين" بابتسامة عريضة:

"بالطبع يا خالي"

"حان وقت الانصراف"

قالها ميستريو ناظرا لبيلا بنظرته الثابتة نفسها.

"سأظل أنا برفقة "فين" لبعض الوقت يا والدي، إن كنت لا تمانع.."

شعر "فين" بنبضات قلبه تزداد فرحا لما قالته بيلا، أومأ ميستريو بتفهم ثم انصرف دون إضافة حرف، جلس "فين" على الكرسي المواجه لبيلا تعلو وجهه ابتسامة عريضة، لم يدرِ عما يتحدث، أراد أن يظل ناظرا لوجهها فحسب. حك مؤخرة عنقه تلقائيا للمرة المليون، وشعر أن ذلك الأمر صار سخيفا بالفعل، حاول أن يتجاذب أطراف الحديث برفقتها:

"إذن ، أأأ.. سترحلون بعد يومين؟"

"أجل، سأشتاق لكم جميعا حقا، وبالأخص لك."

شعر "فين" بقلبه يكاد يقفز من الدهشة والفرحة، اتسعت عيناه بعض الشيء وتساءل بارتباك بينما الابتسامة الواسعة مازالت تعلو وجهه:

"حقا؟!"

ضحكت بيلا برقة، فكر "فين" بأنها لا يمكن أن تكون حقيقية؛ فهي ملاك سائر على الأرض.

"بالطبع!"

شعر لوهلة أن الحُمرة قد أصابت وجنتيه، وأنه يبدو أبلهَ الآن بابتسامته التي ستتجاوز أذنيه عما قريب.

"إذن، ماذا كنت تفعل قبل مجيئنا يا "فين"؟ تنظر لساحة المبارزة مجددا؟"

"أأأ.. لقد كنت.. انتظر حدوث شيء ما"

"أتود أن تطلعني على ذلك الشيء؟!"

"إنه غير مهم حقا.."

"حسنا إذن، لكن ألا ترى أن النظر من تلك النافذة باستمرار ممل بعض الشيء؟"

"إنه ليس مملًا، إنه فحسب.."

لم يجد "فين" كلمة تناسب ما يشعر به، أو ربما لم يرد أن يرى بعينيها تلك النظرة، نظرة الشفقة التي يعرفها جيدا إن أوحى فحسب أن ذلك المنظر من النافذة هو الرابط الوحيد له بما مضى.

"أحب فعله.."

""فين"، يمكنك القيام بأشياء أخرى أكثر متعة"

هل هي جدية؟! ما الذي بوسع شخص بحالته تلك فعله؟! توقفي فحسب يا بيلا، من فضلك.

"حقا، مثل ماذا؟!"

"ألم تفكر من قبل في مطالعة الكتب؟"

"أعتقد أني أراها هي المملة بعض الشيء.."

"صرت معجبة بها مؤخرا"

"حقا؟!"

"أجل، آخر ما قمت بقراءته هي قصة موجو المستكشف، تعرفه أليس كذلك؟"

"إنه أول مكتشف لآبار الحياة"

"بالفعل، لكن قصته ملهمة حقا، أترغب في سماعها؟"

إن كان ذلك سيطيل الحديث، فبالطبع يرغب في ذلك، أومأ "فين"، شرعت بيلا بالحكي:

"وُلد موجو طفلا ثريا، والده كان من أكبر التجار في نصف قارة (أثرا) الجنوبي، ذات يوم أجرى والده صفقة كبيرة للغاية، سعد الوالد للغاية وأراد أن يشارك طفله سعادته، لذا ابتاع له خاتما من الذهب الملون، وقد كان حينها نوعًا غاليًا ونادرًا للغاية، لا أظنه حتى مازال موجودا حتى الآن، أخبر الوالد طفله في ذلك الحين أنه كان في يوم ما فقيرًا، وأنه لم يحلم أبدا أن يصير غنيا بهذا الشكل، وظن في كثير من الأحيان أن نهايته قد حانت، لكن دون سابق إنذار تبدلت الأحوال بشدة، أخبر الأب طفله موجو أن يثق دوما أن الشروق يأتي من قلب العتمة، مرت الأيام ومرض والد موجو بشدة، حزن موجو لذلك وصار ملازما له، وفي النهاية أخبر الوالد طفله أنه سيشتاق له كثيرا، وأن ينظر موجو للنجوم حين يشتاق لوالده هو الآخر، ثم التقط الأب أنفاسه الأخيرة ورحلت عنه الحياة، حزن موجو للغاية وامتنع عن الطعام، وعلى الرغم من مظهره وحالته اللتين تشيان بقرب ساعته إن ظل مستمرًا بتلك الطريقة، أراد عمه التخلص منه سريعا؛ كي يحصل على كل ثروة أخيه الميت، قام أحد أصدقاء والد موجو بتهريب الطفل

من عمه للجزء الشمالي من القارة وتركه، تركه دون أي شيء سوى بعض العملات والخاتم الذهبي الذي لم يعلم بأمره أحد سوى موجو، حاول موجو التعايش مع الوضع الجديد على الرغم من صعوبته، وتذكر دوما كلمات والده 'من قلب العتمة يأتي الشروق'، صار يعمل بأيَّة مهنة ويقبل بالسب والإهانة والضرب ليحصل على قوت يومه، على الرغم من كمِّ الثروة التي قد يحصل عليها إذا باع الخاتم إلا أنه تمسك به؛ فقد كان بالنسبة له الشيء الوحيد المتبقي له من والده والرابط الوحيد له بما مضى، مر الوقت وأصيب موجو بمرض ما في إحدى قدميه، ونظرا لعدم قدرته على شراء علاج، أصابه بعض الضمور في تلك القدم مما أدى لعدم قدرته على أداء أيَّة مهنة يحتاج فيها لقدميه بصورة أساسية، شعر موجو بأن الحزن والقهر صارا رفيقا دربه، وأوحت له نفسه ببيع الخاتم، لكنه تمسك به على الرغم من ذلك، وحاول العمل بمهن تحتاج ليده فحسب، مرت الأيام وتعرف موجو على مجموعة من الصبية، أخذ أحدهم يجزم أنه وجد خريطة تقود لكنز عظيم، طلبوا من موجو مرافقتهم لإيجاد الكنز لشعورهم بالشفقة حياله، كما أنهم شعروا أنه يشبههم فجميعهم صبية عاملين، ذهبوا في رحلتهم وبدأ طعامهم وأموالهم النفاد، لم يستطيعوا التوصل لأي شيء، ولم يريدوا العودة خائبي الأيدي فيضطرون للعودة لحياتهم السابقة البائسة، شعروا أن الرحلة كانت طويلة وبلا فائدة، واكتشف أحدهم خاتم موجو الذهبي فحاولوا سرقته، أمسك موجو الخاتم بشدة بيده اليمنى، فهي كانت الأقوى لديه ورفض تركه على الإطلاق، فقاموا بقطعها.."

شعر "فين" بالصدمة، فكيف لشخص أن يكون بتلك البشاعة؟! كم هم مجردين من الشعور؟! أيمكن حقا أن تؤدي صعاب الحياة لأفعال بشعة كتلك؟! كيف يمكنهم فعل شيء بتلك الشناعة لشخص بتلك الحالة؟! أكملت بيلا:

"أخذوا الخاتم من يده بعد قطعها وهربوا، لكن أحدهم شعر بالذنب والشفقة تجاه موجو، فضمم يده وترك له بعض الطعام ثم هرب هو الآخر، شعر موجو بأن الحياة صارت سوداء تماما في عينيه، وأنه فقد كل شيء، أباه، ثروته، صحته، قدمه، يده، حتى الخاتم المتبقي له من والده، الذي كان الشيء الوحيد الذي ساعده على المضي في حياته، بكى موجو بشدة، بكى حتى تقرحت جفونه، وصارت الدموع أحد معالم وجهه كعينيه وأنفه وفمه، نظر للسماء وأخذ يعتذر ويطلب المغفرة لفقدانه الخاتم، شعر بالاشتياق بشدة لأبيه، وظل بعدها موجو ناظرا للسماء دون حركة، كما لو أنه ينظر حلول ساعته فحسب، مر بعض الوقت حتى شعر بملمس ورقة بجانب يده السليمة، خيل له أنها ربما لم توجد هنا صدفة، وأن أباه بطريقة ما بعثها إليه، فتحها ليجدها ليست سوى الخريطة، يبدو أن الصبية رموها ظنا منهم بأنها قمامة فحسب، قرأها موجو ليجد أن الصبية كانوا يسيرون بالاتجاه الخاطئ، ربما لذلك لم يصلوا لشيء، بلا أمل، بلا مأوى، بلا أي شيء سواها وبعض الطعام والماء، قرر محاولة الوصول لما تدل عليه الخريطة، بعد استكمال رحلته ونفاذ كل الطعام والماء، وصل بالفعل للمكان الذي ترشد إليه الخريطة، ليجد أنها قمامة ولا يوجد أي كنز، شاعرٌ بالعطش الشديد، أخذ يجوب حول المكان باحثا عن أي مصدر للماء، ليعثر في النهاية على بئر، جرى نحوه

وشرب بشدة حتى سقط كثير من الماء أرضا بسبب تلهفه للشرب، ظل بضعة أيام في هذا المكان، خاصة أنه وجد عديدًا من الاشجار المثمرة بالفواكه القريبة من البئر، وشعر بأن ذلك المكان امتلأ بالحياة، كذلك الماء لم يكن عاديا، بل شديد الروعة كما لو أنه من الجنة، قرر أن يجرب ري قطعة من أرض قاحلة بذلك الماء، أتدرى ماذا حدث حينها؟"

أرادها "فين" أن تكمل فحسب؛ فقد شعر أنه متلهف حقا لسماع النهاية لذا سألها بسرعة:

"ماذا؟"

"لم تمر أيام حتى وجد تلك القطعة صارت خضراء بديعة، تدب فيها الحياة، ومع مرور الوقت اكتشف آبارا أخرى في تلك المنطقة التي هي الآن جزء من (ليس الكبرى)، صار ملكًا دون مُلكٍ، فقد أصبح بحوزته ما جعل نصف القارة الجنوبي يتحالف مع إخوة الظل سكان نصف القارة الشمالي حينها للحصول عليه، ما جعل كل من القارة المتجمدة وشبه الجزيرة يخضعان لأجله، ما جعل الشعبين ذوي العيون الحمراء والعيون الصفراء يحدث خلاف بينهما في الأصل بسببه؛ لأن كلاهما أراد الأرض التي تحويه، وما جعل جيش الشعب الأحمر يطارد المتبقي من إخوة الظل حتى الطريق القاحل كي يحرصوا على أن يبقى في حوزتهم هم وليس في حوزة إخوة الظل، ما جعل أمراء مثلنا يتحدثون الآن عن موجو وقصته، أصبح بحوزته ثاني أكبر مصدر للحياة في النصف الشمالي من القارة، إن لم يتحول مع مرور الوقت لأول مصدر!"

أومأ "فين" وبدا أنه صار في عالم آخر تماما ثم أردف:

"الشروق يأتي من قلب العتمة."

"بالفعل.."

ضحكت بيلا ضحكتها الساحرة وأكملت:

"كما ترى، لقد صرت حقا أعشق القراءة"

نظر "فين" نحوها كأنه أدرك أنه عاد لعالمه الواقعي.

"إن كانت القراءة لا تتضمن سوى قصص كتلك، إذن فهي بالفعل ممتعة"

"إنها كذلك صدقني، مشكلتي هي في الكتب الخاصة بالمرايا العظيمة، صرت شغوفٌ لأعرف مزيدًا عنها وعن تاريخها، لكنها تتضمن فصولًا خاصة بالقتال والمبارزة، وأنا لا أفهم جيدا في تلك الأشياء."

ابتسمت بيلا بخجل ثم أكملت:

"تصورت فقط أنك يمكن أن تجد وقتا وتطالع تلك الكتب، وتوضح لي ما لا أفهمه؛ فأنا أعلم أنك ذكي ومدرك تماما تلك الأمور"

شعر "فين" بالحماس لفعل ذلك، فربما يمكن أن يعود لعالمه السابق دون النظر والتحسر، بل يمكن أن يفعل ذلك من خلال المعرفة والتخيل، ما زاد حماسه للأمر أن بيلا البديعة تطلب مساعدته، وهذا سيعطيه الفرصة لكتابة كثيرٍ من الخطابات لها، وتلقي كذلك عديدًا من الخطابات منها.

"أتدري يا "فين" لقد خطر في بالي للتو أن القراءة عن المرايا ستساعدنا لمعرفة ما يمكن فعله لمساعدة "كيرا"، وأعلم الكتاب المناسب لذلك.."

فكر "فين" في أنها محقة، هو عاجز حاليا عن مساعدة أخته، لكنه غير عاجز عن معرفة ما تسبب في جعل أخته هجينة غير تزّهات أن روحها ملوثة، والوصول لسبب المشكلة هو بداية للوصول للحل، كما أنه لا يستطيع أن يحيا باقي عمره بهذا الشكل جالس دون فعل أي شيء لمساعدة عائلته.

"أنتِ محقة، محقة تماما، بيلا، أحتاج لذلك الكتاب"

"لا تقلق يا "فين"؛ سأدلك على مكانه في المكتبة قبل رحيلي برفقة والدي وأخي."

ابتسم "فين" وشعر ببوادر الأمل تتراقص أمامه.

""فين"، هناك شيء، لا أدري إن كان يجدر بي قوله أم لا"

نظر لها "فين" بعدم فهم:

"عمَّ تتحدثين، بيلا؟! أخبريني بالأمر"

عقدت بيلا يداها وتحدثت بقلق:

"لا أدري إن كنت مخطئة أم لا.."

خفضت صوتها.

"لكنني لا أثق بساريو مساعد عمتي دورسيرا"

"ماذا فعل؟"

همت بيلا بالوقوف مردفة:

"كلا، هذا لا يمكن، أنا تسرعت بإخبارك، بالتأكيد هناك خطأ ما، وقد ظننت به السوء فحسب.."

"بيلا، اجلسي وأخبريني بما حدث.."

قال "فين" ممسكا بذراعها بلطف، جلست بيلا وبدا عليها الشعور بالذنب.

""فين"، أنا آسفة حقا، لكن يجب أن تعلم ذلك، ساريو.. لقد رأيته أكثر من مرة يرسل خطابات برفقة حراس للمملكة الغربية، ربما أنا أسيء الظن به، ربما هي لعائلته فحسب؛ فأنت تعلم أنه وُلد أحمر العينين، لكن المرايا أظهرت أن حقيقة روحه تنتمي للمملكة الشرقية، أنا فقط شعرت بأنه يجدر بي إخبارك؛ فأنا أعلم كم تثق به عمتي دورسيرا.."

هز "فين" رأسه باستنكار:

"لم أثق به قط، علمت دوما أن ثقة والدتي به هو أمر خاطئ، سأعلمها على الفور!"

"لا يمكنك فعل ذلك، سينكر فحسب وستعتقد أنك تفعل ذلك لأنك تكرهه ليس إلا، وكما أخبرتك قد تكون تلك الخطابات لأسرته.."

"ليست لأسرته أنا واثق!"

"استمع لي يا "فين"، لا يمكنك مواجهتها أو مواجهته دون دليل قاطع"

*****

سارت بخفتها المعهودة وضفيرتها الكبيرة المنمقة وابتسامتها الخلابة، إنك تؤلم نفسك بحبها يا "فين" ليس إلا، ذلك هو ما خطر ببال "فين" وهو يرى بيلا تسير تجاه غرفة ذلك النحيل ذو العضلات الأحمق، شعر "فين" بالسأم

لمجرد التفكير فيه، على الرغم من بُعد المسافة إلا أن "فين" استطاع السماع بصورة جيدة، طرقت بيلا الباب برقة، لم تَفُتْ سوى بضعة ثوان حتى فتح ذلك الأحمق الباب مندهشا لرؤية بيلا:

"سمو الأميرة بيلا! بمَ يمكنني أن أخدمك؟! لمَ لم تبلغي أي شخص أن يناديني فحسب عوضا عن للمجيء لهنا بنفسك؟!"

"لا بأس يا ساريو، والدي يريد التحدث معك، وقد كانت كلماته لي واضحة: رافقي ساريو إليَّ"

ظل ساريو متحيرا بعض الشيء:

"بالطبع يا سمو الأميرة"

أغلق ساريو الباب على عجلة ثم رافق بيلا مبتعدا عن الغرفة، كره "فين" حقا أن تقوم هي بإلهائه، لكنها أصرت على فعل ذلك مؤكدة أن تلك هي الخطة الأفضل؛ فطلب "فين" المساعدة من أي شخص آخر قد يؤدي لفشل الخطة تماما، حيث سيقوم بإيصال معلومة حول ما يدور، إما لساريو أو لوالدته دورسيرا، قَبِلَ "فين" تلك الطريقة في النهاية على مضض، تأكد من ابتعاد بيلا والأحمق الملقب بساريو عن المكان، سار "فين" جهة الغرفة وتأكد من عدم رؤية أحد له ثم دخل سريعا، غرفة عادية جدا هي، فراش، خزانة، مكتب، يا لحظ ذلك الأحمق فغرفته ليست مزركشة، لم يهتم "فين" بباقي الأشياء في الغرفة، واتجه للمكتب سريعا، أضيئت أعلاه شمعتين، يبدو أن ساريو لم يجد الوقت الكافي فتركهما مضاءتين، كان يوجد أعلى المكتب كذلك بعض الأوراق وريشة

مبللة بالحبر، ساريو حتما كان يكتب شيئا ما قبل رحيله، فغير ذلك لمَ الريشة مبللة بالحبر الذي لم يجف بعد بتلك الغزارة؟ فكر "فين"، همَّ بالبحث في الأوراق الموجودة أمامه، لكن، كلا، ربما يرى "فين" أن ساريو أحمقا لكنه في الحقيقة ليس كذلك، لن يترك خطابًا ربما يدل على خيانته لأميرته على مكتبه فحسب، سيرميه في أحد أدراج المكتب، كلا، لن يترك فرصة ليجده أحد، لكن ساريو توتر ولم يتوقع قدوم بيلا، دار "فين" حول المكتب فلم يجد شيئا، حاول الانحناء لكن لم تسعفه قدمه المبتورة على فعل ذلك، لكن بعد بعض الجهد استطاع الانحناء بمقدار لا بأس به، نظر أسفل المكتب ليجد تلك الورقة المكومة المرمية عند نهاية المكتب جهة الجدار، ابتسم "فين" شاعرا بالنصر، مد يده مخرجا الورقة ببعض الصعوبة من أسفل المكتب، جلس "فين" على الكرسي المواجه للمكتب ثم قرأ المكتوب بالورقة، لتتبدل ابتسامة النصر على وجهه لنظرة صدمة مصحوبة بالحيرة، كوَّم "فين" الورقة مجددا ورماها في مكانها السابق نفسه، ثم خرج سريعا من الغرفة غير مصدقٍ ما قرأه، ساريو يدري مخططات والدة "فين" أكثر من أي شخص، أيمكن حقا أن يكون ما كُتب بذلك الخطاب حقيقي؟! أيمكن أن تفعل والدته ذلك حقا؟!

*****